

# ديوان الخنساء بشرح أبي العباس ثعلب ليس له

الدكتور  
محمد جبار المعيد  
كلية التربية/ جامعة البصرة

اطلعت بأخْرة على هذا الديوان المطبوع بعَمَّان سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وألف (١٩٨٨) للميلاد، بتحقيق الدكتور أنور أبو سويلم من جامعة مؤتة، وما أعرفه عن ديوان الخنساء أنه لم يطبع، قبل هذه الطبعة، طبعاً علمياً موثقاً، لذلك فإن المعنيين بأدبنا العربي القديم يجدون ضالتهم في هذه الطبعة التي اتسمت بالإخراج الجميل وضبط أشعارها فضلاً عن فهارسها العامة العشرة الملحقة بالديوان.

وأبو العباس ثعلب، أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩١هـ، من علماء اللغة والنحو الكبار، نسبت إليه شروح على دواوين لشعراء جاهليين وإسلاميين طبعت، منهم: الأعشى الكبير وزهير بن أبي سلمى وابن الدمينه ومزرد بن ضرار وذو الرمة، وديوان الخنساء الذي بين أيدينا.

أقول: المعنيون بأدبنا العربي القديم يسرون كثيراً إذا ما طبع ديوان لشاعر عربي قد جمعت أشعاره من بطون كتب التراث، بعد أن طالته يد الزمان ومحت أثره، فكيف إذا طبع ديوان عن مخطوطة برواية ثعلب وشرحه؟

بدأت أقرأ هذا الديوان أول الأمر قراءة مستفيد، لعلي أجد فيه ما أزيد علمي ومعرفتي بالخنساء وشارح شعرها، فوجدت شيئاً كثيراً من هذا الذي قصدت. وكلما ازددت ألفة مع الديوان ازددت شكاً وريبة، الألفة مع شعر الخنساء، والريبة والشك بشارح شعرها.

وأعدت قراءة الديوان مرة ثانية قراءة ناقِدٍ أحاط نفسه بمراجعته ومصادره. وإذا بالشك والريبة يجدان لهما في نفسي أساساً مكيناً أثرت ألا أنفرد بهما بل أشارك الآخرين، ومنهم محقق الديوان الفاضل.

حاولت، أولاً، أن أعثر على ذكر لأبي العباس ثعلب في هذا الديوان فلم أجده. وثلعب في كتبه، ولا سيما "المجالس"، يتكرر اسمه وكنيته فيها على عادة الأقدمين. أما في هذا الكتاب فلم أعثر له على أي نمط من أنماط الذكر.

الخطوة هذه قادتني، ثانياً، إلى معرفة شيوخ ثعلب وما نقله عنهم في هذا الديوان من شروح وروايات. وشيوخ ثعلب، كما يعرف الدارسون، كثر نعرفهم لا من كتبه فقط وإنما من كتب اللغة والمعجمات وكتب التراجم. ومن هؤلاء: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي وأبو الفضل الرياشي وأبو الحسن الأثرم وعمر بن شبة البصري وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ومحمد بن حبيب. وأبرز شيوخه وأبعدهم أثراً فيه: أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١هـ<sup>(١)</sup>.

هؤلاء الشيوخ لم يرد لهم ذكر في هذا الديوان، باستثناء ابن الأعرابي. فإن ذكره لم يرد على النمط الذي نجده في كتبه وكتب تلاميذه: قال أبو العباس ثعلب: حدثنا ابن الأعرابي، وإنما على نمط: وروى ابن الأعرابي (ص ٦٠) وقال ابن الأعرابي (ص ٦٥) إلا في موضع واحد (ص ١٨٢) قال فيه: (سمعت ابن الأعرابي وأبا عمرو يقولان .....).

نعم، المؤلف يروي هنا مباشرة عن شيخه ابن الأعرابي، ولكن من هو شيخه الآخر، أبو عمرو؟ ما أعرفه ويعرفه الدارسون أن هذه كنية لعالمين لغويين معروفين، هما: أبو عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤هـ) وأبو عمرو الشيباني (المتوفى نحو ٢٠٦هـ). هاتان الكنيتان قد تشبهان على القارئ أحياناً ولكن الرواية عنهما ومتابعة النصوص قد توصلنا إلى تحديد صاحبها. وأبو عمرو بن العلاء، بلا شك، ليس هو المقصود بهذه الكنية، لأننا لا نكاد نجد عالماً من علماء العربية أخذ عن ابن العلاء وابن الأعرابي معاً، بل لا يصلح ابن العلاء أن يكون شيخاً لابن الأعرابي لأن هذا كان في الرابعة من عمره عند وفاة ابن العلاء<sup>(٢)</sup>. من هنا نقول: إن هذه الكنية لأبي عمرو الشيباني.

وهنا نتساءل: وهل عدّ أحد أبا عمرو الشيباني شيخاً من شيوخ ثعلب؟ نقول: لا، ويقول محقق الديوان الفاضل: نعم، قالها (ص ١١) حينما تحدث عن رواية ديوان الخنساء، ومنهم أبو عمرو الشيباني، قال: (وروى عنه الأصمعي وثلعب). وهذا لا يصح لأن ثعلباً أرّخ لولادته بدقة متناهية، قال: (رأيت المأمون لما قدم من

خراسان، وذلك سنة أربع ومائتين ... قال: فحملني أبي على يده ..... وقال لي: هذا المأمون، وهذه سنة أربع، فحفظت ذلك عنه إلى الساعة. وكانت سنيّ يومئذ أربع سنين<sup>(٣)</sup>. ونقل الخطيب البغدادي<sup>(٤)</sup>: (طلبت العربية واللغة في سنة ست عشرة ومائتين). هذا الذي نقلناه يؤيد ما ذهبنا إليه من أن ثعلباً لم يرو عن أبي عمرو الشيباني.

عند هذا الحد صار الشك عندي يقيناً أن شارح الديوان ليس ثعلباً، وإنما هو آخر سمع أبا عمرو الشيباني. ولكي أخلد إلى اليقين تماماً أبقيت الشك في داخلي ورحت أبحث عن أدلة أخرى تقوي يقيني. فكان من هذه الأدلة:

أ- أن أبا العباس ثعلباً يذكر في كتبه، ولا سيما المجالس، أعراباً رواة عاصروه أو عاصروا شيوخه. ومن هؤلاء الأعراب المذكورين في المجالس: (أبو العميثل وأبو مجيب الربيعي وأبو الخطاب البهذلي وأبو داود الأعرابي وأبو سليمان الأعرابي وأبو الجراح وغيرهم). هؤلاء الأعراب لا نجد واحداً منهم يُذكر اسمه في شرح ديوان الخنساء، وإنما نجد أعراباً آخرين غيرهم تتكرر أسماءهم في هذا الكتاب، ومنهم: (زائدة وشجاع السلمي وعرام بن الإصبغ وميتكر الثعلبي وغيرهم). وهؤلاء الأعراب، باستثناء عرام بن الإصبغ، مجهولون للمحقق الفاضل، كما تشير هوامشه التي وضعها للتعريف بهم.

ب- تابعت كتب ثعلب في ما يتعلق بشعر الخنساء، فوجدته يذكرها في كتابه (قواعد الشعر) فقط، ولا يذكرها في (المجالس) و(الفصيح). ذكرها في الأول في ثلاثة مواضع ذكرها يخالف ما نسب إليه في شرح هذا الديوان، وهي:

١- أن قصيدة الخنساء اللامية التي تحمل الرقم (٤) ص ٧٨، صدرها شارح الديوان بقوله: (وقالت لمعاوية أخيها، وقتلته بنو مرة على غدير قلهي ..)، ولكن ثعلباً في كتابه (قواعد الشعر ٩١) يقول عند ذكره بيتاً من أبيات هذه القصيدة: (وقالت الخنساء ترثي صخرًا)، وليس معاوية.

٢- يذكر شارح الديوان (٣٨٦) بيتاً شهيراً للخنساء بهذه الرواية:

أَعْرُ أْبْلُجُ تَأْتَمُّ الْهُدَاةُ بِهِ

كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

من غير أن يذكر الرواية الأخرى التي عليها طبعات الديوان وكتب اللغة والأدب، بينما يذكر ثعلب في كتابه المذكور (ص ٧٧) هذه الرواية، وهي:

وإن صخرًا لَنَأْتَمَّ الْهُدَاةُ بِهِ  
كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ

ذكره عند حديثه عن (الآبيات العرّ).

٣- ذكر شارح الديوان (١٥٤) بيت الخنساء التالي بهذه الرواية، وهي:

فالحمدُ خَلْتُهُ والجودُ عَلْتُهُ

والصدقُ حَوَزْتُهُ إن قِرْنُهُ هَابَا

بينما رواه ثعلب في قواعد الشعر (نص ٨٧): المجد حَلْتُهُ .. (بالحاء المهملة)،  
وهي رواية ذكرها المحقق في هامشه ونسبها إلى البحتري في حماسته.

أقول: هذه الأمور التي ذكرتها جعلتني أفتنع بأن شارح الديوان ليس ثعلباً.  
وحاولت أن أجد في هذا الديوان أدلة تزيل هذه الشبهة أو الشبهات وتميل بنسبته  
إلى ثعلب، ولو على ضعف، فلم أجد.

بقي أن نسأل: لمن هذا الشرح؟ ..... سؤال أردت به أن أتمم ما بدأت به من  
شك في نسبته إلى ثعلب. صاحب هذا الشرح لا بد أن يكون قد عاش في زمن أبكر  
من ثعلب، وأن يكون قد عاصر ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني وأخذ عنهما،  
وأن تكون له معرفة بهؤلاء الأعراب المذكورين في الشرح ... وجاء الجواب من  
شرح الديوان نفسه، قلت لنفسي: أيمن أن يكون الشارح أبا سعيد الضرير أحمد بن  
(أبي) خالد؟.

وأبو سعيد هذا لغويّ بغداديّ، لم تذكر له المصادر سنة ولادة ولا سنة وفاة.  
ترجم له الأزهريّ بإيجاز في مقدمة كتابه (تهذيب اللغة)<sup>(٥)</sup>، كما ترجم له ياقوت  
في معجم الأدباء<sup>(٦)</sup> ترجمة مطوّلة. أمّا غيرهما من أصحاب التراجم كالفقهي<sup>(٧)</sup>

والصفدي<sup>(٨)</sup> والسيوطي<sup>(٩)</sup>، فكانوا عيالاً عليهما. قال الأزهري: (كان طاهر بن عبدالله بن طاهر استقدمه من بغداد، فأقام بنيسابور وأملى بها كتباً في معاني الشعر والنوادر ... وكان لقي ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني، وحفظ عن الأعراب نكتاً كثيرة، وقدم عليه القتيبي (= ابن قتيبة) فأخذ عنه ...). يفيدنا نص الأزهري عن أبي سعيد الضرير في كونه:

١ - (من بغداد).

٢ - (استقدمه طاهر بن عبدالله إلى نيسابور)، ويبدو أن صواب الاسم: عبدالله بن طاهر، لا ابنه: طاهر بن عبدالله. ذلك أن الحادثة التي حدثت لأبي تمام مع أبي سعيد الضرير إنما كانت في عهد عبدالله بن طاهر<sup>(١٠)</sup>.

٣ - (لقي ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني).

٤ - (حفظ عن الأعراب نكتاً كثيرة).

والأمر الثالث في نصّ الأزهري - وهو أن أبا سعيد لقي ابن الأعرابي وأبا عمرو الشيباني - هو أول خيط يربطه بشارح ديوان الخنساء.

أما (حفظه عن الأعراب نكتاً كثيرة)، فهو أن عبدالله بن طاهر استقدم معه إلى خراسان بعض العلماء وأعراباً، أفاد منهم في مجالسه وخزانة كتبه. يقول ياقوت<sup>(١١)</sup>: (وكان أبو سعيد الضرير يلقى الأعراب الفصحاء الذين استوردتهم ابن طاهر إلى نيسابور فيأخذ عنهم). وسمّى منهم ياقوت<sup>(١٢)</sup>: عَرَّاماً، أحد الأعراب الذين أفاد منهم شارح ديوان الخنساء. أما الأعراب الآخرون المذكورون في الشرح، وكانوا مجهولين لمحقق الديوان الفاضل، وهم: زائدة وشجاع السلمي ومبتكر الثعلبي، فكانوا معاصرين لعَرَّام بن الإصبع وأبي سعيد الضرير، أي أنهم من أعراب منتصف القرن الثالث الهجري. وهذا بيان بأمرهم:

١ - زائدة، سمّاه الأزهري: زائدة البكري، ونقل من كتاب (الاعتقَاب) لأبي تراب إسحاق بن الفرج ما يشير إلى معاصرتَه زائدة. قال الأزهري<sup>(١٣)</sup>: (قال أبو تراب: سمعت زائدة البكري يقول ...). وأبو تراب هذا له روايته عن أبي سعيد. يقول الأزهري<sup>(١٤)</sup>، (فأما أبو تراب فإنه شاهد أبا سعيد الضرير سنين كثيرة، وسمع منه كتباً جَمَّة). وعَرَّف القفطي<sup>(١٥)</sup> بأبي تراب فقال: (خرساني

.. أملى بهراة من كتاب الاعتقاب أجزاء، ثم عاد إلى نيسابور وأملى بها باقي الكتاب). نفهم مما تقدم أن زائدة الأعرابي كان معاصراً لأبي سعيد الضرير ومن أعراب نيسابور.

٢- أما شجاع السلمي فنقل عنه سماعاً أبو تراب. قال الأزهرى<sup>(١٦)</sup>: (قال أبو تراب: سمعت شجاعاً السلمي يقول (...). وهو بهذا يكون معاصراً لزائدة البكري.

٣- مبتكر الثعلبي، وهذا الأعرابي ممن روى عنه أبو سعيد الضرير قال الأزهرى<sup>(١٧)</sup>: (وقال أبو سعيد: الرَّهْدُ: الزكاة، بفتح الهاء، حكاة عن مبتكر البدوي)، كما نقل عنه أبو تراب<sup>(١٨)</sup>.

أخلص من هذا كله إلى أن أبا سعيد الضرير أفاد من الأعراب الواقفين بباب عبدالله بن طاهر. وهؤلاء الأعراب لم ينقل عنهم علماء اللغة في العراق، البصريون منهم والكوفيون، وإنما عُرفوا وشهروا في نيسابور بخراسان. وقد وجدت لهؤلاء الأعراب (عَرَّام وزائدة وشجاع ومبتكر وغيرهم) نقولاً وتعليقات على كتاب العين المطبوع، وهذه الزيادات والتعليقات دخلت الكتاب وصارت جزءاً من نصه، على الرغم من أن هؤلاء الأعراب لم يعاصروا الليث أو الخليل. وصار بعض الدارسين يظنون أن هؤلاء الأعراب ممن روى الخليل بن أحمد عنهم، وأنهم من أعراب القرن الثاني الهجري وهو ظن لا صحة له كما رأينا.

وإذا عدنا إلى شرح ديوان الخنساء، فإننا نجد ذكراً لأبي سعيد الضرير في الصفحة الثالثة من نص الديوان (= ص ٥٩)، يُذكر بكنيته ولقبه. ثم ذكر بعد ذلك مرات كثيرة بكنيته فقط (أبي سعيد) ولكن المحقق كان يشير إليها في هوامشه على أنه الأصمعي، مع أن الأصمعي يذكر في الكتاب بلقبه فقط (الأصمعي)، ويذكر الضرير بكنيته: أبي سعيد. وإلا كيف يمكن تفسير ذكر الأصمعي مرتين في صفحة واحدة (ص ١٣٦)، مرة بلقبه وأخرى بكنيته.

ذُكِرَ أبي سعيد الضرير مرات عديدة في شرح الديوان، ونُقِلَ عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، ومعرفة لأعراب نيسابور، تجعل الدارس يقف وقفة تأمل وتفكر ... قد لا يكون شرح الديوان لأبي سعيد، ولكني مطمئن إلى أنه لمؤلف عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري في بلاد فارس أو ممن تردد عليها.

ليست هذه الكلمة الأخيرة في هذا الديوان وشارحه، فلدارسين والباحثين في  
أدبنا العربي كلمتهم ورأيهم في ما طرح، والله من وراء القصد.

## هوامش البحث:

- (١) انظر حول شيوخ ثعلب: كتاب (أبو العباس ثعلب وجهوده في النحو) للسيد جمهور كريم الخماس، ص ٦١-٧٣، رسالة ماجستير لم تطبع (جامعة البصرة)، ومقدمة الأستاذ عبد السلام هارون لكتاب (مجالس ثعلب).
- (٢) ولد ابن الأعرابي سنة ١٥٠هـ (انظر الفهرست لابن النديم - طبعة إيران - ص ٧٦، ومقدمة د. رمضان عبدالنواب لكتاب البئر لابن الأعرابي، ص ٨-٩)، وتوفي أبو عمرو بن العلاء سنة ١٥٤هـ، كما مرّ.
- (٣) إنباه الرواة ١/١٥٠.
- (٤) تاريخ بغداد ٥/٢٠٥.
- (٥) تهذيب اللغة ١/٢٤.
- (٦) معجم الأدباء ٣/١٥ - ٢٥.
- (٧) إنباه الرواة ١/٤١.
- (٨) في كتابيه: الوافي بالوفيات ٦/٣٦٩ ونكت الهيمان ٩٦ - ٩٨.
- (٩) بغية الوعاة ١/٣٠٥.
- (١٠) انظر: ديوان أبي تمام (شرح الخطيب التبريزي) ١/٢١٧ وأخبار أبي تمام للصولي ٧٢.
- (١١) معجم الأدباء ٣/١٦.



- (١٢) المصدر نفسه ٢/٢٧.
- (١٣) تهذيب اللغة ٢/٢٢١.
- (١٤) المصدر نفسه ١/٣٤.
- (١٥) إنباه الرواة ٤/٩٦ - ٩٧.
- (١٦) تهذيب اللغة ١/٣١٥.
- (١٧) المصدر نفسه ٦/١٤٦.
- (١٨) المصدر نفسه ١/١٣٩ و ١٤٩ و ٢٣٢.